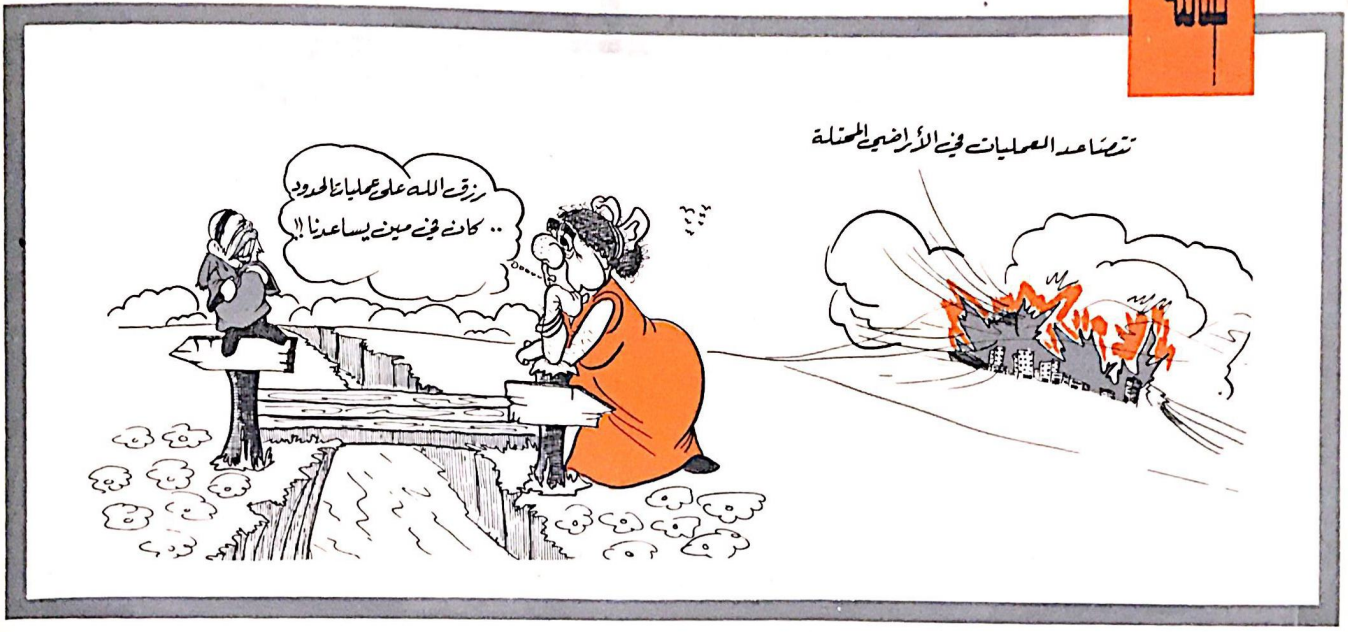

موسم الحصاد القادم

لم تحمل نتائج زيارة غولدا مائير لواشنطن ، من جديد ، بل اكدت استمرار القديم . ولم يحمل معه حافظ اسماعيل ، مستشار السادات الخاص ، من جديد ، من واشنطن ، سوى التاكيد باستمرار القديم : اسرائيل ليست مستعجلة على تحقيق « التسوية السلمية للنزاع » ، لان الوضع القائم « المؤقت ـ المستمر » يلائمها تماما في عملية خلق « الامر الواقع » في الاراضي العربية المحتلة في حزيران ١٩٦٧ ، بينما كل شيء هادىء على الجبهة العربية .

والولايات المتحدة ليست على عجلة من امرها . فالوضع الراهن ملائم لاسرائيل ، وملائم لها . والمسؤولون الاميركيون لا يراعون شعور « اصدقائهم » في العالم العربي ، وغير حريصين على سمعتهم .. فهم يقولون بكل صراحة : « ليس هناك من داع لاستعجال الامور والقيام بمبادرة « جدية » للتسوية ، او لاحداث اي تغيير في السياسة الاميركية « الناجحة » في العالم العربي ، اذ برغم التاييد الاميركي المطلق لاسرائيل ، وما يتضمنه من مساعدات عسكرية واقتصادية لها ، فانه لم يؤثر فعليا على مصالحها في العالم العربي ، بل على العكس من ذلك ، فقد نمت مصالحها في الوطن العربي والمسؤولون العرب يعون اكثر فاكثر بان « مفتاح الحل » هو في يد واشنطن . فلما استعجال الامور عوضا عن ترك هذا الوضع الملائم ينضج اكثر ، ويصبح قطفه اسهل ؟! »

سعيد س. الذي عاد خائبا من حيفا ، لانه لم يذهب اليها وفوهة البندقية تسبقه ، التفت الى زوجته قائلا : اتعرفين ما هو الوطن يا صفية ؟ الوطن هو الا يحدث ذلك كله » .

الود العميق ام الحقد العارم؟

بقدر ما كانت زيارة الرئيس النميري لبريطانية عادية ولا تثير عجب جماهير الشعب العربي المتابعة لسيرة الرئيس السوداني في هذه الفترة القصيرة ـ الطويلة من تاريخنا العربي المعاصر ، بقدر ما كان في جولة الصحافة البريطانية في السودان ، ما يثير العجب .

صحيح كنا نتوقع ان تخصص العديد من الصحف البريطانية عدة مقالات حول السودان بمناسبة زيارة الرئيس السوداني ، تستعرض وتحلل وتقيم ، وتمتدح نظام الحكم القائم ، لاعادته « تصنيف الاولويات » ، ولمبادراته « الجريئة » ، الا اننا لم نكن نتوقع ان يذهب بعض الكتاب المعلقين البريطانيين ، من ذوي المخيلات الخصبة جدا ، الى حدود محاولة التناول من كرامة الشعب العربي السوداني ـ ليس لاننا نتوهم بانهم حريصين عليها ، بل لاننا نتوقع ان يكونوا على الاقل ، حريصين على المحافظة على تصديق ولو القارىء البريطاني ، هدفهم الاول ، الذي عايش فترة الانهيار الرائع للامبراطورية البريطانية .

لقد كان ديفيد هيرست ، مراسل « الغارديان » اللندنية ، صاحب المخيلة الخصبة التي قادته الى القول بان السودانيين « يذكرون النواحي الطيبة للحكم البريطاني » ، وبانهم « يخامرهم شعور حقيقي بالتعلق ببريطانيا » (!)

ديفيد هيرست يجرؤ على محاولة القول بان للاستعمار البريطاني ـ وغيره بالتالي ـ نواحي « طيبة » على الشعب المستعمر ، وبان الشعب السوداني يشعر « بود عميق » تجاه البلد الذي استعمرته عشرات السنين ، ولم تتركه الا شعبا اعتصره الاضطهاد ، متخلفا ، فقيرا ، في النصف الثاني من القرن العشرين .

ديفيد هيرست البريطاني ، الذي عايش تقلص وانهيار الامبراطورية التي لم تكن لتغيب عنها الشمس ، لم يقل لنا لماذا اذن خرجت بريطانيا من السودان ، ومن اين حصدت هذا الحقد العارم الذي دفعها قسرا ، على طريق التراجع الى داخل حدودها ، وسجل سقوط الامبراطورية ..

ربما نستطيع ان نفهم ، لا ان نبرر ، ديفيد هيرست ، فهو ما يزال اسير تكوينه الفكري العنصري ، يحاول التوهم والايهام ، بان شعوب الامبراطورية البريطانية ، سابقا ، « تكن ودا عميقا » لبريطانيا برغم استعمارها لهم ، لانها لم تكن فعلا ، تريد « اي شر او اذية » ، بل كانت تحاول « تمدينهم » ، ولم يكن اضطهادهم واستغلالهم سوى « امور مؤسفة لا بد منها » في هذه العملية الصعبة التي القاها التاريخ « عبئا ثقيلا على كاهل الرجل الابيض .. »

وربما كل هذا غير مهم . ربما ما هو اهم ان هيرست ما كان ليقول قبل سنتين ما يقوله اليوم ...